المبحث الثالث

مناسبة الكلمة القرآنية للسياق

إنّ المناسبة في الكلمة على ضربين، مناسبة في المعاني، ومناسبة في الألفاظ فالمعنوية أن يبتدئ الله تعالى الكلام بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ، كقوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[1]، فإنّه سبحانه لّما قدم نفي إدراك الأبصار له، عطف على ذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾، خطاباً للسامع بما يفهم، لأنّ كلّ لطيف لا تدركه الأبصار، ألا ترى أنّ حاسة البصر لا تدرك اللون من كلّ متلون والكون من كلّ متكون، فإدراكها إنّما هو للمركبات دون المفردات، ولذلك لّما قال: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ عطف على ذلك قوله: ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ تخصيصاً لذاته بصفات الكمال، لأنّ كلّ من أدرك شيئاً كان خبيراً بذلك الشيء[2] لذا فإنّ موقعية الإدراك تتناسب مع معنى اللطف والخبرة، أي إنّ الإدراك تناسب مع سياق اللطف والخبرة، فجاءت الكلمة مترتبة ومترابطة المعنى في سياق الآية ومتناسقة المعنى من حيث الوضوح.

أمّا المناسبة اللفظية فهي توخي الإتيان بكلمات متزنات في سياق الآية، وهي على ضربين تامة وغير تامة، فالتامة أنْ تكون الكلمات مع الاتزان مقفات وأخرى ليست بمقفات، فالتقفية غير لازمة للمناسبة داخل سياق الآيات القرآنية، ومثل المناسبة اللفظية التامة قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ

---

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) ينظر: تحرير التحبير: ٣٦٣.

إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[1]، فالألفاظ (الضحى) و(سجى) و(قلى) و(الأولى)، هنا[2] الألفاظ متزنات وتامات، أي إنّها مقفات، مترابطات بترتيب ونسق خاص في سياق الآيات القرآنية، أمّا المناسبة التي ليست تامة، كقوله تعالى: ﴿قٓ ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[3]. فلفظتا ﴿الْمَجِيدِ﴾ و﴿عَجِيبٌ﴾، هي لفظتان مناسبتان للسياق القرآني لكنهما غير مقفات[4].

وهذا التناسب للكلمة داخل سياق الآية أو الآيات القرآنية تناسب لفظي معنوي في نفس الوقت وهذا من أسرار الإعجاز القرآني، فتأتي الكلمات متناسبة الترتيب ومترابطة المعنى تدل دلالة على جماليات النسق القرآني من حيث الترتيب والأداء.

(١) سورة الضحى: ١-٥.

(٢) ينظر: تحرير التحبير: ٣٦٧.

(٣) سورة ق،: ١- ٢.

(٤) ينظر: التحرير والتحبير: ٣٦٧.